بـــولاق

للأستاذ محمد رمزى بك

كتب المستر شارل جون هزويل الذى كان مديراً عاماً لمصلحة تنظيم القاهرة مقالة تحت عنوان القاهرة واتساع نطاقها وملاحظات عن تأثيرات نهر النيل وتغيراته وأرفق بها بعض الخريطات ، ونشرها فى منشورات الجمعية الجغرافية فى المجلد الحادى عشر الصادر فى ديسمبر ١٩٢٢ ، وقام بترجمة هذه المقالة إلى اللغة العربية الأستاذ محمود عكوش ، ونشرها هى وما معها من الخرائط فى العدد السادس من مجلة الهندسة الصادرة فى يونية ١٩٢٣ ، وبالاطلاع على الخريطة رقم ٢ الخاصة بتأثيرات نهر النيل وتغيراته تجاه القاهرة ظهر لى أن المستر هزويل اعتبر أن مدينة بولاق مصر كانت جزيرة فى وسط النيل ، وأنها كانت مشغولة بالمبانى ومسكونة وقت أن كانت جزيرة . ولما كتب المسيو مارسيل كليرجيه كتابه فى سنة ١٩٣٤ سار على رأى المستر هزويل ، واعتبر كذلك بولاق جزيرة ، وأثبت ذلك على الخريطتين المواجهتين لصفحتى ٢٧ و ٢٩ من الجزء الأول من كتاب القاهرة المذكور

وأقول أن ما تصوره كل من المستر هازويل والمسيو مارسيل لا أساس له من الصحة للأسباب الآتية ، وهى :

أولاً : إنه لم يرد فى المراجع الجغرافية ولا التاريخية القديمة أن بولاق كانت جزيرة ، ولم يتكلم عليها أحد من أصحاب كتب الخطط بوصف أنها جزيرة ، مثل جزيرة الروضة وجزيرة الفيل وجزيرة إروى وغيرها من الجزاير التى تكلم عنها المقريزى وغيره فى كتبهم

ثانياً : اعتاد الكتاب السابقون أن يذكروا كل طرح يظهر فى النيل أو على شاطئيه باسم جزيرة ، سواء كان هذا الطرح منفصلاً فى وسط النيل أو متصلاً بالشاطىء ، ومع كل هذا فلم يذكر أحد من الكتاب أن بولاق كانت جزيرة

ثالثاً : لما تكلم المقريزى فى خططه على بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) قال إن ساحل النيل كان بالمقس ، وأن الماء قد انحسر حول سنة ٥٧٠ هـ عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل ، وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى إلى المقس ، وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة إلا وهى تكثر حتى بقى ماء النيل لا يمر بها إلا أيام الزيادة فقط ، وفى طول السنة ينبت فيها البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمى النشاب فى تلك التلال من الرمل . فلما كانت سنة ٧١٣ هـ رغب الناس فى العمارة لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها ، فأقبل الناس على الإنشاء والعمارة ، وجد الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء ، وصارت بولاق الدكرور يزرع فيها القصب والقلقاس على النيل حيث جامع الخطيرى ، وامتدت الدور على النيل وسكنوا ورغبوا فى السكنى ببولاق من جامع الخطيرى إلى جزيرة الفيل ، وتفاخروا فى إنشاء القصور الفاخرة هناك ، وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة

رابعاً : لما تكلم المقريزى فى خططه عن جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ١) قال بين سطور ما ذكره عن تلك الجزيرة : « وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى وصار ما هنالك رمالاً متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضى اللوق فافتتح الناس باب العمارة فعمروا فى تلك الرمال المواضع التى تعرف اليوم ببولاق خارج المقس »

خامساً : ذكر ابن تغرى بردى فى كتاب النجوم الزاهرة (ص ٣٠٧ ج ٧) أنه فى سنة ٦٨ هـ تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر والرملة وبين جزيرة الفيل وهو المار تحت منية السيرج ، وانسد هذا البحر ونشف بالكلية ، واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشى

سادساً : ليس من السهل إنشاء مدينة كبيرة مثل بولاق فى جزيرة بعيدة عن ساحل المقس فى حين أنه لم يكن بينها وبين ذلك الساحل كوبرى أو جسر تسير عليه الناس والدواب بين ميدان باب الحديد وبين شاطئ النيل الحالى حيث كانت توجد بولاق القديمة على ذات الشاطئ .

ومما ذكر يتضح أن بولاق لم تكن جزيرة فى يوم من الأيام وإنما أنشئت على أرض ظهرت فى مجرى النيل ، وكانت تلك الأرض فى بدء تكوينها فى سنة ٦٨٠ هـ مكونة من الرمال الفساد اتصلت بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليها بأرض اللوق ، ثم صار